

## المستشرقون في ميزان المحار بين الشقاق والمحضرات

الأب مورييس بورمانس

هل للاستشراق قيمة يُعترف بها في مجال العلاقات بين الثقافات والحضارات ؟ هل جاءت الأبحاث الاستشراقية من كتب وترجمات وموسوعات تقدّم لقراءها صورة وفيّة للحضارة العربية والدين الإسلاميّ أم تصفهما بصورة بشعة بعيدة عن الواقع ؟ هل شارك المستشرقون الإثراء المتبادل الذي يجعل الثقافات تستفيد بعضها من بعض في سبيل التكامل الحضري والتعارف العلمي ؟ لقد كثرت الآراء المتعارضة في الجواب عن هذه الأسئلة ذوات الأهمية العظيمة.

فكيف يمكننا اليوم أن نأتي بالجواب الصحيح والتقييم النزيه في هذه المسائل العويصة ؟ إنّ محارولتنا المتواضعة في هذه السبيل ستكتفي بالرجوع إلى نصوص عربيّة إسلاميّة قد نُشرت في الثلاثينات والسبعينات من القرن الماضي.

فلنرجع أولاً إلى بعض المقالات التي أثارها حارث غريب فاجأ الجميع في القاهرة سنة 1934 م فنشرتها مجلة "الهلال" في عددها 3 لسنيتها الثانية والأربعين إذ أكد في أولها الدكتور حسين الـهراوي بأن ضرر المستشرقين أكثر من نفعهم بينما ردّ عليه الدكتور زكي مبارك في ثانيتهما قائلاً : إن نفعهم أكثر من ضررهم ثم فلنلتزم ثانياً بعد الاطلاع على كلّ من المقالتين في استعراض بعض الأبحاث العلميّة التي جاء بها أساتذة متعدّدون عبّروا فيها عن آرائهم في الجوانب الإيجابية والسلبية للاستشراق حتّى تمكّن من أن نوزّعهم بين أنصار الرّأي الأوّل (أي ضررهم أكثر من نفعهم) وأنصار الرّأي الثاني (أي نفعهم أكثر من ضررهم) فربّما تُظهر لنا في الختام هذه النقاشات الحادّة أنّ مشكلة الاستشراق تستوجب موقفاً نزيهاً بين الرّفـض والقبول فتطلب من أبناء الشّرق والغرب نفس المحاولة إلى التفاهم كي يجتهد الكلّ في سبيل المواجهة الإيجابية إذ لجميع الأبحاث العلميّة للثقافات المقارنة جوانب فيها ضعف وخطأ وفيها ثبات وصواب.

## 1.1 - ضررهم أكثر من نفعهم أم نفعهم أكثر من ضررهم ؟

ما هو الحادث التاريخي الذي أثار أكثر من ردّ فعل واحد في مجلة "الهلال" المذكورة أعلاه سنة 1934 م ؟ لقد قرّر، في تلك الأيّام، الملك فؤاد الأوّل تأسيس المجمع الملكي للغة العربيّة بقرار مؤرّخ بالثالث عشر من شهر ديسمبر سنة 1932 م وجاء في هذا القرار أنّ المجمع سيكوّن من عشرين عضواً فعيّن الملك أعضاء المجمع في أكتوبر سنة 1933 م، وجعل منهم خمسة مستشرقين أسماؤهم الأساتذة فيشار (لايبيزق)، نلّينو (روما)، ماسينيون (باريس)، غيب (لندن) ووينسيك (لايدان) غير أنّه تجاه المعارضة التي أثارها تعيين الأستاذ وينسيك اضطرّ

إلى إعادة النظر في تعيينه فعين عضواً عنه الأستاذ ليمان (توينغين) الذي شارك مع الآخرين الجلسة الأولى للمجمع في التاسع والعشرين من شهر جانفي سنة 1934م.

فجاءت مجلة "الهلال" تستفتي بعض المفكرين المصريين في هذا الشأن : هل للمستشرقين الخمسة أحقية ما كي يشاركوا المجمع أعماله العلمية والثقافية وهم أجانب غربيون لا يحسنون ممارسة الثقافة العربية ولا يفهمون الحضارة الإسلامية حق فهمها ؟ (1) فلنتأمل الآن فيما أجابه كل من الدكتور حسين الهرابي والدكتور زكي مبارك.

### 1.1 - رأي الدكتور حسين الهرابي هو أن "ضررهم أكثر من نفعهم" :

يبدأ الدكتور مقالته قائلاً : "إذا قلبت أي كتاب اجتماعي أو عمراني باللغة الأجنبية يتكلم عن مصر أو الشرق أو الإسلام وجدت أشياء كثيرة لا يقرها عقل ولا يستسيغها منطق وليست من الحقيقة في شيء" (2).

---

(1) جاءت المقالتان المذكورتان هنا في بحث واحد عنوانه "هل ضرر المستشرقين أكثر من نفعهم" في العدد الثالث لسنة 1934م لمجلة "الهلال" ص 562 - 579. وماهي الفقرة الأولى تعرض فيها المشكلة بصفة موجزة : "قامت حركة في الأيام الأخيرة حول بحوث المستشرقين عن العرب والإسلام بمناسبة اختيار بعضهم أعضاء في المجمع اللغوي الجديد. وفي هذا المقال رأيان متعارضان أحدهما للدكتور حسين الهرابي، وهو يقول بأن ضرر المستشرقين أكثر من نفعهم، وحضرته هو الذي أثار هذه المسألة في الصحافة والمجامع. وثانيهما للدكتور زكي مبارك، وهو يقول العكس".

(2) ويضيف فيما بعد ما يلي - "فإذا كنت شرقياً صميماً أولت ما يكتب في تلك الكتب الاجتماعية بأنه جهل من المؤلفين بأحوال الشرق وعاداته. وإذا كنت مسلماً أسفت كثيراً أن يوصف الإسلام بصورة بشعة بعيدة عن الواقع. هذه هي الآراء التي كنت أظن أنها وأنا أعالج الكتب الاجتماعية أو العمرانية، وهي تلخص في أن الأوروبيين لا يعرفون شيئاً عن حقيقة الشرق بصفة عامة وعن الإسلام بصفة خاصة".

فالحقيقة أنّ الأستاذ راجع كثيراً من الكتب والأبحاث في مجال الاستشراق فازدادت خيبته أثناء مطالعته ما نشر في الغرب عن الحضارة العربيّة وعن سيرة محمد بن عبد الله، فلهذا انتقد على موضوعيّة الأسلوب التاريخيّ ونزاهة مذهب المستشرقين إذ جاء في كتاب "مرجو ليوث" الذي عنوانه "تاريخ العالم العامّ" ما يعتبره "تخريفاً ظاهراً وكذباً واضحاً وتشنيعاً كبيراً" ثمّ قال إنّّه "وقع في يديّ كتاب تقرير من لجنة العمل المغربيّ فرأيت هذا التقرير يتتبع السياسة الاستعماريّة ويصف طرق مقاومة الإسلام والتقارير السريّة التي يرسلها المستشرقون في البلاد المستعمرة إلى حكوماتهم لمقاومة الإسلام، لأنّه روح تتنافى مع الاستعمار، وأنّ أوّل واجب في هذا السبيل هو التقليل من أهميّة اللغة العربيّة وصرف الناس عنها بإحياء اللهجات المحليّة في شمالي أفريقيا واللّغات العاميّة، حتّى لا يفهم المسلمون قرآنهم ويمكن التغلّب على عواطفهم".

غير أنّه راجع بصفة خاصّة كتاب "دائرة المعارف الإسلاميّة" فقال في شأنها: كنت أجد فيها "استقصاءً تاريخياً للصغيرة والكبيرة في التاريخ الإسلاميّ. أمّا فيما يختصّ بالنبي الكريم، فكنت أرى طعنًا جارحاً وكلاماً أقلّ ما يوصف به أنّه من قبيل قلّة الذوق في المعاملات الإنسانيّة العادية. وهؤلاء الكتاب كلّهم من المستشرقين". فاستخرج الدكتور حسين الهراوي من الدائرة المذكورة بعض الأدلّة القاطعة في إضعاف قيمة الأبحاث العلميّة منتقداً الأستاذ "وينسينك" في مبحثين له هما، كما يقول، نموذج لشعوذة المستشرقين أوّلها عن إبراهيم وثانيهما

في كلمة الكعبة" فاقصر الدكتور بنقد المبحث الأول وأعطى البراهين الواضحة على أن رئيس تحرير الدائرة ينقصه الروح العلمية إذ "يفرض فرضاً ثم يلتبس أسبابه فإذا وجد في القرآن آيات تتناسب في معانيها مع فرضه اقتبسها وإذا وجد آيات لا تتناسب مع أغراضه تجاهلها وقال إنها غير موجودة في القرآن" وفي النهاية، ختم الدكتور مقالته قائلاً "ومن هذا يتبين لك أغراض المستشرقين وأنهم ليسوا من العلم ولا من الأمانة كما يتصورهم الناس. وأنهم ممن لا يوثق بهم في البحث العلمي".

## 2.1 - رأي الدكتور زكي مبارك هو أن " نفعهم أكثر من ضررهم " :

سارع الدكتور في بداية مقالته فقلب عنوانه إذ أراد أن يعبر عن رضاه تجاه أعمال المستشرقين معترفاً أنهم "طائفة من العلماء الجارئين يجب الاتصال بهم". فيتفق مع نقادهم والتهم الموجهة ضدهم : "إنهم طلائع المستعمرين وهذا صحيح" غير أنه يتساءل قائلاً : "هل الاستعمار في ذاته جريمة ؟" مضيفاً في شأنه : "فهناك وسائل سلمية لدفع الاستعمار: هي أن تعرف أهله وتقف على أسرارهم في العلوم والفنون والآداب وتفهم من أين يطمعون فيك وكيف يتيسر لك أن تصدهم عنك " ثم يلاحظ الدكتور أن المستشرقين لا يستطيعون أن يقضوا أعمارهم جميعاً وهم أدوات استعمارية "وأن بعضهم" يتحولون مع الزمن إلى علماء - بكل ما تؤدي هذه الكلمة من معنى - وتكون النتيجة أن تضعف فيهم النزعة الاستعمارية وتغلب عليهم النزعة العلمية. وأريد بهذا أنهم

يصبحون من دعاة المجد الشرقيّ ومن أنصار حضارته وتقاليده - ودياناته أيضاً - فمن عرف شيئاً أحبّه ومن جهل شيئاً عاداه" (3).

فيصرّح الدكتور بما لدى المستشرقين من أغلاط لأنّ "اللغة العربيّة كسائر اللّغات لها دقائق لا يدركها إلّا أهلها الأقربون" وذكر شاهدين من أغلاط المستشرقين أولهما في "معجم الأدباء" وثانيهما في "نفح الطيّب" غير أنّه يعترف بأنّ هذه الأغلاط لا يمسّ بأهميّة نشر النصّ المحقّق لكلّ من هذين الكتابين فيقول مثلاً: "من الممكن أن نتعقّب أغلاط مصحّح ذلك الكتاب فنراها تعدّ بالعشرات. ولكن أين تلك الأغلاط وأين يقع شرّها بجانب الفضل العظيم الذي أسداه المستر "مرجوليوث" إلى لغة العرب حين نشر ذلك المعجم في سبعة مجلّدات وقضى في تحقيقه السنين الطوال ؟ إنّ طبع "معجم الأدباء" ونشره على تلك الصّورة الجميلة ليعدّ منقبة عظيمة تصغر بجانبها منكرات الأغلاط عند من يقومون أعمال الرّجال.

والشّاهد الثّاني وقع في "نفح الطيّب" ولو مضيت أحاسب مصحّحي ذلك الكتاب لثرت لهم على أغلاط أقبح وأشنع. ولكن ما قيمة

(3) ثمّ يأتي الأستاذ زكي مبارك بوصف دقيق إلى مميزات المستشرق الحرّ قائلاً : "ومن دلائل هذا الميل الخالص انكباب كثير من المستشرقين على مسائل نظريّة بحثة لا تقدّم ولا تؤخّر في خدمة الاستعمار. فقد يتفق كثير منهم أن يشغل بدرس الفروق بين مذاهب البصريّين والكوفيّين ويقضي أعواماً في جمع المصادر وطبع بعض النصوص واستفتاء العلماء، واستنطاق بعض القبائل، وتوجيه ما اختلف اللهجات، الخ. أفيظنّ القارئ النصف أنّ مثل هذا العمل لا يخلو من نزعة استعمارية ؟ أنا لا أتصوّر ذلك. وإنّما أفهم أنّ مثل هذا الباحث غوّلت حماسه إلى نشاط خصب يمضي به إلى آفاق الابتكار والابتداع في مسائل دقيقة لا يعرض لها العلماء إلّا حين تصفو نفوسهم من شوائب الأغراض".

تلك الأغلاط بجانب الجهد الذي بذل في تنظيم كتاب يعدّ المصدر الأول لأدب الأندلس ؟ " (4).

فيذكر الأستاذ زكي مبارك قراءه أنّ " أسوأ جانب في حياة المستشرقين لا يخلو من خير ونفع" ملاحظاً أنّ هؤلاء العلماء الغربيين " قد عمدوا إلى القرآن والحديث فطبعوا كلّ ما يتصل بهما من جيد المؤلفات، وفهرسوها وبوّبوها ورتّبوها ترتيباً تعجز عنه مشيخة الأزهر الشريف. والمسيو "فنسك" الذي تعقبه صديقنا الدكتور حسين الهرابي ورماه بسوء التّهم والنّية - هذا الرجل نفسه خدم الإسلام بكتابه في الأحاديث النبوية ولنفرض جدلاً أنّه لم يقصد وجه الحقّ بنشر كتابه ذاك فإنّ ذلك لا يمنع أنّه خدم الإسلام من حيث لا يريد. وهل هناك خدمة أجلّ من نشر الآثار الإسلامية في الأقطار الأوروبية والأمريكية ؟ إنّ هذه الخدمة كانت تنتظر من المسلمين أنفسهم فغفلوا عنها وتركوا الأجانب يتصرفون في تراثهم بما يشتهون".

فخاتمة المقالة هي حكم معتدل في إيجابية مبادرات المستشرقين إذ يقول فيها الدكتور : "فأنا لا أهوّن أغلاط المستشرقين، ولا أدعو إلى متابعتهم في غير بصيرة ولا روية، ولكنني أجزم بأنّ أعمالهم أدخلت كثيراً من عناصر الحيوية في الدّراسات اللّغوية والإسلامية. وليس في الدنيا شرّ خالص، وإنّما النّفع في أعمال هؤلاء الباحثين أقوى وأغلب".

---

(4) ويذهب روح الواقعية بالأستاذ زكي مبارك إلى هذا الاعتراف الغريب: "ليس من الفضيحة أن أخبركم أنّي كنت أجد بمكتبة مدرسة اللّغات الشرقية في باريس مصادر عربية مطبوعة لم أجد لها ظلاً في دار الكتب المصرية.

## 2 - عض التصريحات لانصار الرأي الأول : "ضررهم أكثر من نفعهم" :

لقد كثرت الكتب والمقالات التي استنكرت أعمال المستشرقين وانتقدت أبحاثهم المختلفة فلنكتف بذكر ما صرح به ثلاثة أساتذة يمثلون الرأي الأول أحسن تمثيل وهم الأستاذ عبد اللطيف الشويرف والأستاذ سلطان عبد الحميد سلطان والأستاذ نزار قنديل.

### 1.2 - "أخطار المستشرقين وكيف نواجهها" للأستاذ عبد اللطيف الشويرف :

نشر الأستاذ مقالته بهذا العنوان في المجلة التونسية "جوهر الإسلام" سنة 1973 م (العدد الأول، ص 15 - 22) فنبه فيها مواطنيه بأخطار المستشرقين إذ "تولّوا، كما يقول، غزواً فكرياً هداماً" ضدّ الإسلام والمسلمين رغماً عن صفاء نية بعضهم في أبحاثهم العلمية (5) لأنّ الدكتور يتساءل في مقاصد الاستشراق ودوافعه وراء أعماله المختلفة قائلاً:

(5) يعترف الأستاذ الشويرف ببعض الجوانب الإيجابية للاستشراق فيقول : "إنّ بعض المستشرقين كانوا مدفوعين بالغرض العلمي ومتخلّصين من داء التعصّب العميقة جذوره في الحياة الأوروبية. وسواء أكان ذلك من أجل أهمهم أم من أجل الحقيقة نفسها، فهم جديرون بالاحترام والتقدير، ونحفظ لهم الجميل على ما أسهموا به من إثراء ثقافتنا وما قاموا به من جهود في التعريف بعلمائنا ونشر مخطوطات ثمينة كانت قابضة في زوايا الإهمال والتسيان وتاكلها الرطوبة وذلك مثل "جوستاف لوبون" الذي أنصف الحضارة الإسلامية و "رينو" ترجم جغرافية أبي الفداء، و"دوزي" كتب عن الحضارة العربية الإسلامية في إسبانيا و"سيدويو" الذي أمضى حياته في سبيل أن يحقق للفلكي المسلم أبو الوفاء لقب المكتشف للقاعدة الثانية لخرقة القمر ومثل "آسين بلاتيموس" الذي كشف عن المصادر العربية، للكوميديا الإلهامية و"دوسلان" الذي ترجم مقدّمة ابن خلدون و"بلاسكو بانيز" الذي قال عنه المرحوم العقّاد : إنه قال في كتابه " تحت ظلال الكنيسة ". ما لا يزيد عليه المسلم شيئا في فضائل التاريخ الأندلسي، وغير هؤلاء ممن كتبوا عن الإسلام وتاريخه وشخصياته بالروح العلمية المبرّاة من التعصّب والحقّد".



"ما الذي جعل المستشرقين عامّة منذ بدأ الاستشراق حتّى الآن يتحاملون في تعمّد على الإسلام والمسلمين، ويبدّلون الجهود الكبيرة التي تستغرق حياة بعضهم لطعن الإسلام وتشويهه وتزييف تاريخ حضارته والنيل من كتابه القرآن الكريم ورسوله العظيم صلى الله عليه وسلم، بكلّ ما أوتوا من وسائل الطعن والإساءة والتّحريف والهزء والسّخرية ؟ "

فجاء بوصف الآثار الخطيرة للمستشرقين جواباً عن هذه الأسئلة وتفصيلاً لهذه الآثار إذ يكتب ما يلي في هذا الشأن : "الآثار الخطيرة لأعمال المستشرقين كانت ذات اتّجاهين : الاتّجاه الأوّل تمثّل في تشويه الإسلام وتاريخه وتلفيق الافتراءات عليه في المجتمع الغربيّ والمسيحيّ بصورة عامّة. إنّ الأوروبي كوّن تصوّره عن الإسلام من خلال كتابات المستشرقين وتضليلهم، وأطلّ على العالم الإسلامي بنظرة المتحاملين الذين أوهموا قومهم بأنّ المجتمع الإسلامي هو مجتمع قصص ألف ليلة وليلة، مجتمع الهمجيّة والتأخّر والعنف والقسوة. وقد استغلّ المستشرقون في تشويه صورة الإسلام وأهله الكراهيّة الموروثة في أوروبا للإسلام من عهود الحروب الصليبيّة، والتعصّب الديني الذي زاد المستشرقون في تعميقه، وغذوه بالباطيل التي اختلقوها عن الإسلام ونبيّه وأتباعه (...). (6).

(6) كثيراً ما يرجع الأستاذ في مقالته هذه إلى "الحقد الصليبي" عند المستشرقين حتّى يقول في هذا الموضوع ما يلي : "تتلوّن نظرة المستشرقين إلى الإسلام في معظمها بالحقد الصليبي الأسود الذي يرجع عهده إلى الحملات الصليبيّة المعروفة. إنّ الكره للإسلام نشأ في أوروبا منذ تلك الفترة، إذ عمل قادة الحملات الصليبيّة على تسميم العقل الأوروبي وتعميق مشاعر الحقد في نفسه ضدّ المسلمين كتهينة وإعداد نفسيّ للحملات. إنّ المستشرقين تأثّروا بهذا الجو العامّ، إلى جانب أنّ الاستشراق بدأ أساساً بالرهبان الذين قصدوا الأندلس وتعلّموا في مدارسها وترجموا القرآن الكريم والكتب الإسلاميّة إلى لغاتهم. إنّ انطلاقة الاستشراق من الكنيسة زاد في تغليفه بالدوافع الدينيّة وشحنه بأسباب التعصّب والحقد الصليبيّ".

**الاتجاه الآخر :** وتمثل في غزو المسلمين أنفسهم، وتدميرهم من الداخل، وتخطيم كل مقومات وجودهم وشخصيتهم. وهذا هو الخطر البالغ للمستشرقين والآفة اللعينة التي أصبنا بها واستشرت في مجتمعاتنا الإسلامية كالورم الخبيث "إذ يلاحظ الدكتور متأسفاً بأعظم هذه الآثار الخطيرة قائلاً : "وقد وصل تأثير المستشرقين فينا إلى حدّ اعتبار كتبهم وآرائهم المراجع الأساسية لطلبتنا الذين يتلقون الدراسات الإسلامية في جامعات أوروبا وأمريكا والمصادر التي يعدّون منها رسالتهم للحصول على درجة الماجستير أو الدكتوراه وتلك قمة المأساة الفكرية، ومنتهى الإذلال والمهانة، وغاية الضعف والانهيال في شخصيتنا الثقافية".

## 2.2 - " دوافع الاستشراق " للأستاذ سلطان عبد الحميد سلطان :

هذا الدكتور من أبناء مصر فقد ألف كتاباً في الموضوع عنوانه : "من صور الغزو الفكري للإسلام : التبشير، الاستشراق، العلمانية" ثم أصدره في القاهرة سنة 1990م فيرى فيه أنّ هذه الدوافع المتنوعة لها صبغة دينية أو استعمارية أو تجارية أو علمية فلنستعرض ما قال في شأن هذه الدوافع الأربعة حتّى نطلع على أنواع الضرر الذي يصيب المجتمع العربي والإسلامي بحسب قوله : "إنّ الدافع الديني للاستشراق كان يسير منذ البداية في اتجاهات ثلاثة متوازية تعمل معاً جنباً إلى جنب، وتمثل هذه الاتجاهات فيما يأتي :

(أ) محاربة الإسلام والبحث عن نقاط ضعف فيه، وإبرازها والزعم بأنّه دين مأخوذ من النصرانية واليهودية، والانتقاص من قيمه والخطّ من قدر نبيّه صلى الله عليه وسلّم.

(ب) حماية النصارى من خطره بحجب حقائقه عنهم، وإطلاعهم على مافيه من نقائص مزعومة، وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين.

(ج) التبشير وتنصير المسلمين وقد أشرنا إلى ذلك عند حديثنا عن التبشير.

لقد بدأ هذا الاتجاه بالرهبان واستمرّ حتى عصرنا الحاضر<sup>(7)</sup>.

أمّا الدافع الاستعماريّ، فيعتبره الدكتور في مقالته كما يلي : "لما انتهت الحروب الصليبيّة بهزيمة الصليبيين وهو في ظاهرها حروب دينيّة، وفي حقيقتها حروب استعماريّة لم ييأس الغربيّون من العودة إلى احتلال

(7) فيشير الدكتور في شأن هذا الدافع إلى كيد انصار الاستشراق الدّينيّ قائلا : "ومن كيدهم في هذا الصدد أنهم يحكمون على الإسلام دائما من واقع المسلمين الحالي، فهم لا يصوّرون الإسلام من منابعه ومصادره، بل يصوّرونه من واقع المسلمين السيّء، وهم يعمدون إلى اختيار البيانات الإسلاميّة التي نالها أكبر قسط من الضعف والهزال، ويجعلونها نموذجا للإسلام".

أمّا الهدف النّهائيّ لهذا الدافع فيصفه الأستاذ كما يلي : "ويهدف الدافع الدّينيّ لدى المستشرقين إلى :

1 - تشكيك المسلمين في دينهم، وقرآنهم وشريعتهم، وفقههم ففي ذلك هدفان دينيّ واستعماريّ.

2 - تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضاريّ، بدعوى أنّ الحضارة الإسلاميّة منقولة عن حضارة الرّومان... وإذا تحدّثوا بشيء من حسناتهم - وقليل ما يفعلون - يذكرونهم على مضض مع انتقاص كبير.

3 - إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم، وبثّ روح الشكّ في كلّ ما بين أيدي المسلمين من قيم وعقائد ومثل عليا، ليسهل على الاستعمار تشديد وطأته عليهم، ونشر ثقافته الحضاريّة بينهم.

4 - إضعاف روح الإخاء الإسلاميّ بين المسلمين في مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميّات التي كانت قبل الإسلام، وإثارة الخلافات والتّعنّات بين شعوبهم. وكذلك يفعلون في البلاد العربيّة، يجهدون لمنع اجتماع شملها، ووحدتها كلمتها بكلّ ما في أذهانهم من قدرة على تحريف الحقائق".

بلاد العرب فبلاد الإسلام، فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات، وأخلاق وندوات، ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها، وإلى مواطن الضعف فيغتموها، ولما تم لهم الاستيلاء العسكري، والسيطرة السياسية كان من دوافع تشجيع الاستشراق إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسنا (8).

(8) إن العلاقات بين الاستشراق والاستعمار لا ينكرها أحد لأنها تنتمي إلى تبادل للخدمات بين التمويلات والمعلومات يوجد في كل مجتمع بشري فيفصل الدكتور هذه الحقيقة التاريخية في الأسطر التالية : "ومن بين الأمثلة العديدة لارتباط الاستشراق بالاستعمار: المستشرق "كارل هينريش بيكر" (ت 1933 م) ومؤسس (مجلة السلام) الألمانية الذي قام بدراسات تخدم الأهداف الاستعمارية الألمانية في أفريقيا. أما المستشرق "بارتولد" (ت 1935 م) مؤسس مجلة (عالم الإسلام) الروسية، فقد تم تكليفه عن طريق الحكومة الروسية بالقيام ببحوث تخدم مصالح السيادة الروسية في آسيا الوسطى.

أما المستشرق "سنوك هورجرونيو" (ت 1936 م)، فهو عالم الإسلاميات الهندي الشهير والذي توجه إلى مكة في عام 1885 م بعد أن انتحل اسماً إسلامياً هو "عبد الغفار" وأقام هناك ما يقرب من نصف عام. وقد ساعده على ذلك أنه كان يجيد العربية كأحد أبنائها، وقد لعب هذا المستشرق دوراً هاماً في تشكيل السياسة الثقافية، والاستعمارية في المناطق الهولندية في الهند الشرقية، وشغل مناصب قيادية في السلطة الاستعمارية الهولندية في إندونيسيا.

وفي فرنسا كان هناك عدد من المستشرقين يعملون مستشارين لوزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال أفريقيا (...).

أما المستشرق الكبير "ماسنيون" فإلى عهد قريب كان يعمل مستشار الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الشؤون الإسلامية.

أما المصلحة البريطانية في العالم الإسلامي، فقد كان الدافع إليها بطبيعة الحال هو ممارسة السيادة البريطانية في الهند وغيرها من البلاد الإسلامية التي استولت عليها.

وقد كان "اللورد كيرزن" في أوائل القرن الحالي من أشد المتحمسين في إنجلترا لفكرة إنشاء مدرسة للدراسات الشرقية باعتبار أنها تعدّ "جزءاً ضرورياً من تأييد الإمبراطورية" وتساعد على الاحتفاظ بالموقع الذي نالته بريطانيا في الشرق. وقد تحولت المدرسة المذكورة فيما بعد إلى مدرسة جامعة لندن للدراسات الشرقية والأفريقية.

ثم يذكر الأستاذ ما انجرّ بعد كلّ ذلك من دوافع تجارية واقتصادية وشخصية إذ يعترف بأن الغربيين كانوا "مهتمين بتوسيع تجارتهم والحصول من بلاد الشرق على المواد الأولية لصناعاتهم التي كانت في طريقها للازدهار، ومن ثمّ ترويجها وتصريفها في بلاد العالم الإسلاميّ، ومن أجل هذا وجدوا أنّ الحاجة ماسة للسفر إلى البلاد الإسلامية للتعرف عليها، ودراسة جغرافيتها الطبيعية، والزراعية والبشرية، حتّى يحسنوا التعامل مع تلك البلاد، وتحقيق ما يصبون إليه من وراء ذلك من تحقيق فوائد كثيرة تعود على تجارتهم وصناعاتهم بالخير العميم".

غير أنّ الدكتور يذكر في ختام بحثه الطويل ما يوجد من دوافع علمية بحثية في بعض المؤلفات الاستشراقية مصرّحاً بكلّ نزاهة : "ومن المستشرقين نفر قليل جداً أقبلوا على الاستشراق بدافع من حبّ الاطلاع على حضارات الأمم وأديانها، وثقافاتهما، ولغاتها، وهؤلاء كانوا أقلّ من غيرهم خطأ في فهم الإسلام، وتراثه، لأنهم لم يكونوا يتعمّدون الدسّ والتحريف، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحقّ وإلى المنهج العلميّ السليم من أبحاث الجُمهرة الغالبة من المستشرقين، بل إنّ منهم من اهتدى إلى الإسلام، وآمن برسالته".

فهكذا يرى الأستاذ سلطان أنّ ضرر الاستشراق جاء نتيجة لهذه الدوافع الدنيوية والاستعمارية والاقتصادية فكيف يستحقّ ثقة الباحثين أو احترام المؤمنين ؟

### 3.2 - "التاريخ وخطايا المستشرقين" للأستاذ نزار قنديل :

نشر هذا الصحفي المصريّ مقالته النقدية في جريدة "الجمهورية" بالقاهرة في الرابع من شهر أفريل سنة 1991 م مستفيداً فيها بما قرأ

في كتابٍ للدكتور عبد العظيم محمود الديب عنوانه "المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي" وهو رئيس قسم الفقه بكلية الشريعة بجامعة قطر فيكرّر الأستاذ قنديل انتقادات الكاتب القطري تجاه منهج المستشرقين قائلا معه : "إنّ هذا المنهج من حيث الشكل تتضح فيه ملامح رئيسيّة هي :

أولاً : الاهتمام بتاريخ الطرق والصّراع بينها ووضعها في بؤرة الشّعور لدى الأمّة الإسلاميّة.

ثانياً : العناية بتاريخ الزندقة والزنادقة وإبرازهم في صورة أصحاب الفكر الحرّ !

ثالثاً : القفز وراء العصر الإسلاميّ والاهتمام بالتاريخ القديم لأقاليم دار الإسلام كالفرعونيّة، والبابليّة والآشوريّة، وغيرها في محاولة لتمزيق المسلمين !

رابعاً : تمزيق تاريخ الأمّة الإسلاميّة بتقسيمها إلى أسر ومناطق !

خامساً : اختزال تاريخ الإسلام والمسلمين".

ثمّ يأتي الصحفي المصري القائمة الكاملة لنقائص الاستشراق الغربي كي يشكّك قراء الجريدة في نزاهة المستشرقين العلميّة والروحيّة.

فهاهي النقائص التي استعرضها الأستاذ الديب في كتابه المذكور أعلاه :

أولاً : الخضوع للأهواء وعدم التجردّ للبحث في القراءة والكتابة والتّحقيق !

ثانياً : عجز المستشرقين عن أن يتمثلوا ثقافة ولغة الأمة الإسلامية لأنهم ليسوا منها.

ثالثاً : التعسف في التفسير والاستنتاج بما يخدم الأهداف التي وضعوها لأنفسهم مسبقاً.

رابعاً : التفسير بالإسقاط للواقع المعاصر المعاش على الوقائع التاريخية السابقة !

خامساً : استخدام منهج العكس بمعنى أن ينظر المستشرق في النصوص والوثائق والروايات فإذا نالت شيئاً، عليه أن يدرك أن الصواب هو عكسه تماماً !

سادساً : التشكيك في الدليل القاطع والتعامي عنه.

سابعاً : التحريف والتزييف والادعاء.

ثامناً : إصدار أحكام قاطعة بغير دليل أصلاً!

تاسعاً : الاختلاق والتلمويه".

### 3 - بعض الاعترافات لأنصار الرأي الثاني : "نفعهم أكثر من ضررهم" :

رغمًا عما أثبتته أنصار الرأي الأول الذين أكدوا على الجوانب السلبية للاستشراق، جاءت طائفة من المفكرين يعترفون بالجميل ويظهرون المكتسبات الإيجابية التي أثمرى بها المستشرقون التراث المشترك للبشرية جمعاء فنذكر منهم هنا الأستاذ أحمد حسين والأستاذ محمد توفيق حسين.

### 1.3 - "فضل المستشرقين على نهضة الفكر الإسلامي" للدكتور

أحمد حسين ،

لقد عبّر عن نظرتيه الإيجابية الدكتور أحمد حسين بمقالة له عنوانها هكذا فأصدرها في مجلة "الثقافة" المصرية في عددها التاسع والعشرين سنة 1976 م (ص 1 - 16) إنه هنا إدارة الهلال لجهدا الجدير بالتقدير والشكر فأراد أن يشير إلى استحقاقات المستشرقين قائلا في البداية : "ولن يستطيع أيّ باحث إسلامي في عصر النهضة الإسلامية الحديثة إلّا أن يعترف بالفضل للكثيرين من المستشرقين الذين كانوا بلا جدال أو شبهة حجر الزاوية فيما يمكن أن نسمّيه "حركة الإحياء في التأليف الإسلامي".

فيرجع الدكتور مع قرّانه إلى تجاربه الشخصية فيقول : "إنّي أعتبر على سبيل المثال أنّ من أعظم المصنّفات التي قام بها عالم مصري هو" المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم" والذي أعدّه الأستاذ الكبير محمّد فؤاد عبد الباقي. وطالما نوّهت في كتاباتي بالدين العميق الذي يداينني به فلولا معجمه لما أقدمت على تفسير القرآن ذلك أنّه يسّرني الكشف عن أيّ لفظ من ألفاظ القرآن وكيفية استخدام القرآن الكريم لهذا اللفظ في مختلف آيات القرآن، وسيبقى هذا الفهرس الذي وضعه محمّد فؤاد عبد الباقي نبراساً يسترشد به كلّ باحث في القرآن الكريم. فعندما يقول لنا هذا العلامة الورع إنّ الفضل في وضع مصنّفه يرجع في الدرجة الأولى إلى المستشرق "فلوجل"، فقد كان هو أوّل من وضع فهرسا لألفاظ القرآن منذ أكثر من مائة سنة، ولأنقل لك نصّ عبارته التي سجّلها في مقدّمة مصنّفه العظيم، يقول العلامة محمّد فؤاد عبد الباقي : "وإذا كان خير ما ألف وأكثره استيعابا في هذا الفنّ دون منازع ولا معارض



هو كتاب "نجوم الفرقان في أطراف القرآن" لمؤلفه المستشرق فلوجل الألماني، الذي طبع أول 1942 ميلادية فقد اعتضدت به وجعلته أساسا لمعجمي" (9).

ثم ينتقل الأستاذ أحمد حسين إلى علوم الأحاديث النبوية، فيضيف إلى ما سبق ما يأتي نصّه : "إنّ بحر السنّة خضمّ متلاطم وكتب الأحاديث الصحيحة خمسة في رأي البعض وستّة في رأي بعض آخر، وثمة كتب أخرى ذات أهميّة وخطورة، فجاء أحد المستشرقين الهولنديين "فنسنك" ووضع مصنفا لا أحسب أنّ له مثيلا في تاريخ التّأليف الإسلاميّ وهو كتاب "مفتاح كنوز السنّة" حيث يمكنك بمجرد أن تعرف لفظا واحدا من ألفاظ الحديث أن تعثر على موقعه من كتب الحديث المعتمدة، ولأدع الكلام مرّة أخرى لعالم من أكبر علماء الإسلام الحديث وأعني به المرحوم الشيخ رشيد رضا صاحب "تفسير المنار"، قال : "إنّ خير ما أعرف به هذا الكتاب لقراء العربيّة أن أبين لهم وجه الحاجة إليه وطريق الانتفاع به، وعدم استغناء أعلم علماء الحديث عنه بل هم أشدّ حاجة إليه من غيرهم (...) وإنّني أستمّد هذا البيان من تجربتي واختباري في السّنين الطوال (...) ولو وجد بين يديّ مثل هذا المفتاح لسائر كتب الحديث لوقرّ عليّ أكثر من نصف عمري الذي أنفقه في المراجعة".

(9) هذا فيما يخصّ الدراسات القرآنية فيضيف إليها الدكتور ما انتفع به من مستشرق آخر قائلا: "وما يتصل بالقرآن الكريم ما انتفعت به أنا شخصا في كلّ مؤلّغاتي الإسلامية كتاب "لايوم" والذي رتب فيه آيات القرآن حسب موضوعاتها (التشريع، الجنّة، النار، فروع الاخلاق، قصص الانبياء ... الخ) فهذا الكتاب العظيم ييسر لكلّ باحث الإحاطة بكلّ آيات القرآن التي وردت في أيّ معنى من المعاني".

فيستمرّ الأستاذ أحمد حسين استعراضه الشّامل لما نشره المستشرقون من كتب السّيرة النبوية والتّاريخ الإسلاميّ فيقول في شأنها: "وإذا كان ما تقدّم هو بعض ما قام به المستشرقون في سبيل يسير البحث في القرآن والأحاديث فإنّ لها الفضل الأكبر في بعث مصادر السّيرة النبوية الأولى وأعني بها سيرة ابن هشام هي تسجيل لسيرة ابن إسحاق، وكذلك كتاب طبقات ابن سعد تلميذ الواقدي، وكلا المصدرين هما أقدم مصدر السّيرة النبويّة على الإطلاق".

ويعتبر تاريخ الطّبري هو أقدم موسوعة في التّاريخ الإسلاميّ وهو كتاب ضخّم في عدّة مجلّدات ومرة أخرى كان المستشرقون هم أوّل من طبع هذا الكنز الثّمين وقدموه لنا معاشر الكتاب المسلمين والعرب، وأنا كما قدّمت تحدّث عن تجربتي الشخصية وكيف كان كلّ اعتماد على المصادر الإسلاميّة الأولى التي ما كان يمكن أن تنهيّا لنا لولا جهود المستشرقين. ولا شكّ أنّ المستغلين باللّغة وبالآدب قد صادفوا من جهود المستشرقين، مثل ما صادفنا".

فهكذا أراد الأستاذ أن يشير إلى فضل الاستشراق "بمعناه القديم" وإنّ خبا الآن تاركًا المجال لدراسات أخرى تُعنى باللّغويات والسياسيات.

## 2.3 - "الإسلام في الكتابات الغربيّة" للدكتور محمد توفيق حسين :

لقد عبّر هذا الأستاذ عن أفكاره في المجلّة الكويتيّة التي تهتمّ بحسب عنوانها - "عالم الفكر" في عددها الثّاني لسنّتها العاشرة (سنة 1979 م) فجاء مبحثه يدرس مكانة الإسلام في كتابات الغرب فاعترف المؤلّف بالواقع التّاريخي والعلمي ملخّصًا : "لقد قام المستشرقون بجمع المخطوطات العربيّة، وفهرستها، وحققوا منها ما أمكنهم وما رأوه

ضرورياً لدراساتهم وأبحاثهم، ونشروها نشراً علمياً. وقد طبعوا في بلادهم العدد الجَمّ من المؤلفات العربية المصادرة في التاريخ والأدب والتفسير والحديث والفقه. وترجموا إلى اللغات الغربية عدداً كبيراً من المؤلفات العربية، ووضعوا المعاجم وكتب القواعد المخطط لها بطريقة علمية. وصنعوا مثل ذلك بالكتب المؤلفة باللغات الإسلامية غير العربية. وبذلك عرفوا الغربيين بترائنا، ووضعوا النصوص الأصلية المحققة مع ترجمتها أحياناً، بين أيدي الدارسين الغربيين.

ودرس وتعلم على أيدي المستشرقين آلاف العلماء الاختصاصيين من العرب والمسلمين، فحملوا علومهم ومناهجهم إلى أوطانهم، وأثروا في ثقافتها ومناهجها وأساليب تفكيرها.

ويكفي أن أذكر اسماً واحداً كبيراً هو أبو اليقظة العربية الحديثة، الشيخ رفاعه رافع الطهطاوي، الذي درس وتعلم، أثناء إقامته في فرنسا 1826م - 1831م، على يد كبير المستشرقين في جيله أنطوان سلفستر دوساسي.

وكتب المستشرقون آلاف الكتب وعشرات الآلاف من الأبحاث والمقالات عن الإسلام، ما زال الكثيرون من أساتذتنا ومؤلفينا يعتمدون عليها ويذكرون ذلك صراحة حيناً، ويكتفون بذلك في معظم الأحيان. ومازلنا عالة عليهم في معظم ما نكتب عن تاريخ الأمم الإسلامية وحضارتها.

ثم يقدم الدكتور محمد توفيق حسين بجرأة وشجاعة بعض التأمّلات فيها شيء من النقد الذاتي إذ يقول بكلّ صراحة: "ولا أخفي ما في نفسي من أسى على بطء تقدّمنا الثقافي، وضعف مناهج بحثنا في تاريخنا وحضارتنا وجمودنا على مقولات تجاوزها البحث العلمي،

إلى غرور لا سند له إلا الجهل، وإلى سطحية نفعية تستغفل القراء والطلبة والدارسين. ولقد بلغ من جمودنا أننا أصبحنا نخشى أن نتناول بالبحث العلمي والنقد الموضوعي الرّصين ما كان من موضوعات الجدل اليوميّ في مساجد الكوفة والبصرة وبغداد في القرون الثلاثة الأولى، أو أن نمسّ بأبسط النقد العلميّ أشخاصا كانوا غرضا للنقد الشديد في تلك القرون الأولى الزّاهرة من تأريخنا الإسلامي العظيم، التي كانت عصورا موفورة الصّحة العقليّة، دائبة على البحث الحرّ عن الحقيقة، مفتّحة على كلّ جديد مفيد في الثقافة والعلم".

فيُنهي الأستاذ مقالته هذه متمنّيًا لقراءه الاستفادة المعتدلة من كتابات المستشرقين معترفًا أنّهم "بحيادهم في هذه الأمور لعدم مساسها بهم، قد يفيدوننا النظرة الموضوعيّة المحايدة لقضايا التّاريخ البعيدة، والتي ينبغي أن تظلّ بعيدة عن الانفعالات العاطفيّة حتّى تدرس بموضوعيّة العلم. وإذا لم تُفد من دراسة مؤلّفات المستشرقين آراء جديدة في تاريخنا، وإذا لم نجد فيها تفسيرات جديدة لأسباب ازدهار حضارتنا وتقدّمها ولعوامل جمودها وانحلالها، فلا أشكّ في أننا سنفيد من ذلك توضيحًا لأفكارنا نحن، وتقويمًا لمناهجنا، ورؤية أنفسنا كما تبدو في مرآتي غيرنا من العلماء والباحثين".

### الخاتمة في سبيل الخيار الأفضل :

إذا كثرت هكذا الآراء والأحكام المتعارضة في قيمة الاستشراق فكيف يمكننا اليوم أن يصل الباحث في شأنه إلى موقف نزيه بين الرّفص المطلق والقبول بدون شرط ؟ لقد رأينا أثناء هذا الاستعراض أنّ السّلبات والإيجابيات تتساوى أو تتناقض فلنطّلع إذا حلّ المشكلة على أحسن ما جاء في بحث قام به الأستاذ عبد النّبي إصطيف فنشره في : مجلّة

"مجمع اللّغة العربية" بدمشق في عددها التاسع والخمسين (سنة 1984م، ص 116 - 137) بهذا العنوان "نحن والاستشراق : وملاحظات نحو مواجهة إيجابية" إذ يقترح في بدايته خياراً متوسطاً قائلاً : "يبدو لي أننا أمام خيارات ثلاثة :

أولها : أن نرفض هذا التقليد جملة وتفصيلاً ونوقّر أنفسنا حتّى عناء مناقشته.

وثانيها : أن نقبله دون تحفّظ وأن نغضي طرفنا عمّا فيه من تضمّنات أيديولوجيّة أو سياسيّة أو اقتصاديّة أو ثقافيّة.

وثالثها : أن نتعامل معه تعاملًا نقدياً، وأن نأخذ ونرفض على هدي البصيرة النقدية، والتفحص المتمعّن أو قل أن نواجهه مواجهة إيجابية".

فالخيار الأفضل عند الأستاذ اصطيف هو الثالث لأنّ الأوّل يترك العرب والمسلمين على هامش التبادلات الثقافية الدوليّة وإن كان أسهل الخيارات ولأنّ الثاني يكوّن تبعيّة عقلية وعلميّة تتنافى مع نموّ الشخصية العربيّة الصادقة ونشأة ثقافة إسلاميّة معاصرة توحد بين الأصالة والتفتّح.

فيتساءل الأستاذ بعدما أطل الكلام في نقد الخيار الثاني متحيراً : "ولكن ماذا عن الخيار الثالث، والذي أودّ أن أعنونه بالمواجهة الإيجابية لهذا التقليد الثقافي - هذه المواجهة التي ينبغي أن تتسم بالوعي والمعرفة والحسّ النقدي والثقة بالنفس ؟" (10)

(10) فيفسّر ما يقصده بهذه المواجهة قائلاً: "يبدو لي أنّ هذه المواجهة يجب أن تهدف إلى قلب الأوضاع القائمة في الدّراسات العربيّة ووضعها مرة أخرى على قدميها. فبدلاً من أن تكون الدّراسات الاستشراقيّة الخارجيّة هي التيار الرئيسي، والمرجع الأساسي لدراسة الثقافة العربيّة في حين تبقى الدّراسات التي يقوم بها الدّاخلون هي الرّوافد، يجب أن تصبح إسهامات العرب أنفسهم هي التيار الرئيسي والمجرى المحدّد، في حين تصبح إسهامات المستشرقين هي الرّوافد.

إنّه يوضّح أفكاره في الموضوع مستخدماً كلمات الدكتور هشام الخطيب التي قرأها في مقالة له عنوانها "الاستشراق في ثوب جديد أصدرتها مجلة "البعث" بدمشق في عددها 5522 لشهر مارس 1981 م إذ قال فيها : "عند ذلك يمكن أن نضع الاستشراق قديمه وحديثه في الموضع الذي يستحقّه، أي بوصفه رافداً يصبّ في بحر الدّراسات العربيّة المتمكّنة الوثيقة من القيمة العلميّة لما تقدّمه، وليس بديلاً عنها بأيّ حال من الأحوال".

فالمؤلّف في هذا الإطار الجديد للعلاقات بين الباحثين العرب والمستشرقين يجعل بعض الشّروط للتّعاون بين الجانبين وهو تتلخّص في الخطوات الآتية : المعرفة المتبادلة والمشاركة بعضهم بعضاً والنّقد الواعي لدى الجميع وتشجيع المؤثّرات الإيجابيّة في النّتاج الاستشراقيّ الجديد. إنّها خطوات يمكننا أن نسهّل إنجازها في ظروفنا الراهنة إذا أخذنا بعين الاعتبار ما قال الأستاذ إصطيف في شأنها : "ربّما كانت أولى خطوات هذه المواجهة الإيجابيّة التعرّف على موضوع هذه المواجهة، أي النّتاج الاستشراقي. فدون المعرفة المتبصّرة، المميّزة للغثّ من السّمين في هذا التقليد الثّقافي، ليس ثمة أمل في أن تقوم أيّة مواجهة ذات جدوى".

أمّا المشاركة المرجوّّة من الجميع، فيجب أن تشمل مختلف نشاطات الاستشراق وتقصد فائدتين كما يقول الأستاذ :

"أولاهما : لفت نظر العاملين في ميدان الاستشراق إلى ما يقوم به الدّاخلون من نشاطات وأبحاث لا يحسنها غيرهم ولا يستغني الخارجيون عنها، وإلى إسهامات هؤلاء الدّاخلين في مختلف الجوانب المتّصلة بالحياة العربيّة قديمها وحديثها أدبا وثقافة وتاريخاً وحضارة.

وثانيهما : خلخلة معايير ومقاييسه الداخلية التي أكل الدهر عليها وشرب. فمع ازدياد إسهامات الدّاخلين إلى هذا التقليد، تنبثق مفاهيم جديدة، ومعايير ومستويات مختلفة عمّا هو سائد في ميدان الاستشراق نتيجة طبيعته الخارجيّة".

والمشاركة هذه يمكن أن تتخذ أشكالاً عدّة منها "النشر في الدّوريات الاستشراقية باستمرار وباللّغات الاستشراقية ذاتها" فالمشاركة الفعّالة "في المؤتمرات والدّورات التي تقام حول الشّؤون العربيّة والإسلاميّة" في مختلف أنحاء العالم والتي تساهم المؤسسات الاستشراقية في الإشراف عليها ثمّ "نشر الكتب والرّسائل العلميّة والترجمات باللّغات الأجنبية" إنّ المشاركة هذه لابدّ أن يجتهد فيها كلّ من الطرفين بالنّقد الواعي والذّاتي كي تتطوّر تدريجيّاً حتّى تشجّع المؤثّرات الإيجابيّة في نتاج علمي مشترك ومتكامل يستفيد منه تحديد الأبحاث في مجال الحوار للثقافات والحضارات غير أنّ الطرفين هذين ينتظر كلّ منهما من الطّرف الآخر نفس الجهد في سبيل التعارف والتّفاهم باسم استشراق جديد يساهمه استغراب مجدّد إذ تستوجب منا تحدّيات العولمة الرّاهنة أن نوحّد صفوفنا ونقرّب قلوبنا حتّى يكمل الحوار بين ثقافتنا الأصليّة وتحفنا العلميّة والروحيّة فتنمو فيما بيننا حضارة السّلم والسّلام والمحبة.

